المساواة

(٨)

العدمية

العدمية (Nihilism) اسم قديم كان وما زال يطلق على المذاهب الفلسفية القائلة بان لا شيء موجود ولا شيء يمكن ان يعلم — على نحو مذهب غورغياس اليوناني استاذ ثوسديدس كبير المؤرخين ومذهب فيخته الالماني تلميذ كنت واستاذ شلنج. وقد أتاها تورجنيف الروسي معنى جديداً اذ نعت بها في رواياته أشخاصاً تناولهم الحالة الفكرية السائدة يومئذٍ في طبقة المتعلمين الروس (Intelligenzia). ولئن الف الناس الخلط بين الفوضوية والعدمية والنظر اليهما سوياً كنتهى التطرّف والحدّة الثورية فلأن حكومة القيصر الاوتقراطية أوجدت هذا الخطأ واذاعته لتبرير ما تأتيه من ضغط ومقاومة. فوحّدت في احكامها جماعة المتنوّرين الاحرار ودعاة الهويش واللانظام

على ان العدمية في وجهها الاوليّ غير الفوضوية وإن اشبهتها. أما وجه الشبه ففي كونهما معاً مغالاة في اثبات الفردية وانكاراً لكل سلطة وقيد وشريعة. واما وجه الاختلاف ففي ان العدمية بدأت مسالمةً بُعَيد جلوس القيصر اسكندر الثاني سنة ١٨٥٥ وبقيت فكرية معنوية الى سنة السبعين. وكان القيصر المذكور ارتقى العرش مجاهراً بميله الى الاصلاح والتسوية بين رعاياهُ. فما تمّ لهُ إخراج بلادهِ في سنوات حكمهِ الاولى من حروب اشتبكت بها مع الدول حتى تحوّل الى الاصلاح الرئيسي الذي طالما نادى بهِ وهيأهُ كتّاب الروس في القرن المنصرم لوطنهم أهم حوادث التاريخ في ذلك القرن. وهو ان القيصر الغى نظام الاسترقاق سنة ١٨٦١. والثلاثون مليوناً الذين كانوا يملكون للموالي ولا ارض لهم ولا حرية اصبحوا مستقلين عن سادتهم. ورأى الاحرار في ذلك فاتحة عهد جديد فبُعثت المواهب والقوى وبرزت العقول الراجحة عند المفكرين وعلماء الاجتماع والاقتصاد والشعراء والروائيين. وقاموا يحاربون ليس الاثرة السياسية بل الاثرة الادبية في جميع انواعها، ويحرّرون الفرد من قيود الدين وطغيان المجتمع ومزاعم

الوسط ؛ بما فيها النزاعم الثورية الدائمة يومذاك في اوربا الغربية . وبعد ان هاجموا العقيدة والاصطلاح هاجموا العيلة مشعرين المرأة التي قضت حياتها امة ، بأن جميع صنوف الحرية — ابتداء من حرية الحب — حلّ لها

***

ومن أساطين هذا المذهب ومن انبههم غايةً واكثرهم بديهية بطرس لفروف الذي يرى ان الحوادث الاجتماعية في تطوّرها العلميّ والاخلاقي والفلسفي الثلاثي انما منها ما يظل في نموّ مستمرّ ومنها ما يقف جامداً فيتقهقر الى رجعية الانحلال والفساد . وبين ذلك النموّ الحيّ والبقاء الميت يتعدّى الماضي على المستقبل فيختلّ التوازن ويظهر في التطوّر حدثٌ جديد هو ما يسمونهُ «المرض الاجتماعي» وليس لعلوم الاجتماع من غرض سوى معالجة هذا المرض وضبط التوازن في آلة المجتمع . ولقد كان حكماء الماضي يرون الخلاص في الاحتفاظ بالتقاليد ، واذا بالاحفاد يجدون في ذلك العلة الكبرى إذ لا جمود في الخليقة . ولما كان المجتمع تابعاً للطبيعة في سنّة التحول تحتم عليهِ إحداث نُظُمٍ تلائم احتياجات معقولة هي كل يوم في ازدياد

يهدمُ التطوّرُ صوراً قديمة ويبدعُ صوراً جديدة على يد اشخاص يخلقهم التطور نفسهُ وقلّ من فهمهم في محيطهم ، وكلما تعالوا إلى المثل الاعلى أفرط العامة في الاستخفاف بهم ودفعهم عنهم لانهم « لا يشبهون جميع الناس » . على ان نفوذ هؤلاء الافراد وفوزهم النهائي انما يتعلق بما عندهم من شجاعة واقدام واعتقاد بأن الحرية الفردية المطلقة يجب ان تكون دعامة المدنية الجديدة الحقة . لان الانسان حرّ . ولو كانت فكرةُ الحرية وهماً لوجب الاخذ بها لانها وهمٌ ضروريّ للرقي

والرقي وجهان : النظري والعمليّ والعمل على غير معرفة وبال فيجب تفهم الرقيّ في معانيهِ كلها سواء أوُجدت عندنا أم رأيناها حوالينا . حتى اذا ما تشبّع الفكر منا معرفةً واستنارة انضممنا الى اقلية المجاهدين في اتجاهٍ معين ضد سخافة العصر واستئثار الماضي

الفردية في هذا المذهب عظيمة أهمّيتها خالد أثرها . فالافراد أحدثوا الحاضر الذي كان بالامس محالاً مستحيلاً وقد أصبح اليوم وقوعهُ عجيباً . فعلى كلّ ان ينهض منادياً بفكرتهِ قائماً بتنفيذها بنشاط وقوة . ولتحمل بعد ذلك موجةُ

القدرية التاريخية شخصيتهُ ونتائج أعمالهِ الى محيط الشخصيات والاعمال العامة فذلك لا ينفي ان إقدام الفرد الواحد أو احجامهُ انما هو في بناء المستقبل عنصرٌ لا ينضب وجزء لا ينحلّ

ومع ان لفروف يعترف بان المشاكل الحاضرة موفورة التعقيد صعبة الحلّ وان الشرط الاعظم للاصلاح هو تبديل النظام الساري بنظام يرضي مطالب العمال وسواهم — أي انهُ مع قولهِ بالحرية والمساواة في معناهما العصري فهو يعلق على الوحدة العائلية اهمية كبيرة . ومع انكارهِ لجميع انواع الحكم وجاهرتهِ بان السيطرة الدينية لن تعود الى ما كانتْ عليهِ فهو بعد المفكرين عن حذف الاخلاق الجيدة من الحياة الاجتماعية ؛ بل هو يدعو كلا الى تثقيف نفسهِ واصلاحها لتكون حياتهُ مثالاً ولترى نظرياتهُ مجسمة في اعمالهِ . ومع انهُ يعظم الفرد في فرديتهِ وخيرتهِ وعملهِ واستقلالهِ فهو يرمي بذلك الى تهيئة عيشة حسنة هنيئة لملايين الاشخاص الضئيلة المجهولة المؤلفة المستقبل طوعاً أو كرهاً . وهو لا ينفك عن مخاطبة الفرد قائلاً : «جاهد لذلك المستقبل ولا تنس ان المنتحر انما هو ذاك الذي يعترف باندحارهِ»

جهاد الافراد لخير الانسانية دينٌ وغاية عند لفروف . وهو وان كان عدميًّا متطرّفاً الاّ ان مبادئهُ الاخلاقية ومثل حياتهِ الشخصية غيرت معنى العدمية التي لم تعد تعني النفي والانكار على الاطلاق بل نفي « المرض الاجتماعي » الحاضر وإنكار « تعدّي الماضي على المستقبل » . الاّ ان ايمانهُ راسخ يثق بمستقبل خير فيدعو الى تهيئتهِ بصوتٍ محرّض مقنع

وايُّ متعلّم زكيّ في هذا العصر وفي كل عصر لا يكون عدميًّا بعض العدمية على طريقة لفروف ؟ ايُّ مستنير يعلم ان التطور ناموس الحياة ولا يبصر الجثث الاصطلاحية التي ينحني المجتمع امامها والزوائد الخرافية التي تشين الاديان والخلل في محاسن القوانين والشرائع ؟ اي نفس تتألم وترى الآخرين يتألمون فلا تنهض محتجةً سرًّا او علناً ؟ ومن ذا الذي يسميهِ الناس عظيماً فتتناقل ذكرهُ الاجيال إن لم يكن ذاك الذي يقضي على قديم ضار ويوجد جديداً نافعاً في عوالم الادب والعلم والتشريع والاجتماع والاختراع ؟ ولكن ليهدأ المتهوّرون بالا ! فما كلّ جديد بالنافع ولا كلّ ثائر بالصائب . فكم من تمرّدٍ ليس إلاّ تطاولاً

ومباهاة ، وكم من مُعدِم كالجزّار والجلاّد يفعل ليتقاضى الاجرة ، وكم من مدمر لا يسوقهُ سوى ما دفع ذلك الخامل الى إحراق هيكل افسس البديع يوم ولادة الاسكندر !

***

ولكن إن لم يكن جميع دعاة الثورة واشياعها من درجة لثروف فان تلك العدمية لم تكن من الروس مكابرةً وتعنتاً بل نتيجة لازمة لما قاسى الشعب من الجور والارهاق . ولم تجيء سنة السبعين حتى انتهى للعدمية طور الفكر وابتدأ طور العمل . ذلك ان الاصلاحات التي وعد بها القيصر ظلّ بعضها حبراً على ورق ونُفّذ البعض الآخر تنفيذاً ناقصاً جاء بآلام جديدة دون ان ينسي الآلام الماضية . فاخذ العدميون ينتشرون في المدائن والقرى مختلطين بالشعب ليحيوا حياتهُ ويطلعوا على احتياجاته فيبثون بينهُ روح الثورة بالمنشورات والخطب والاحاديث والتعاليم . بينا المنفيون اختياراً او إرغاماً يوصلون صوت الشعب الى الامم طالباً الانعتاق من نير الاوتقراطية . وقد انضمّ النساء الى الرجال في نشر المذهب الجديد وانهاض تلك الجماهير الكثيفة من هوة الذلّ المألوف والعبودية المقبولة . وتعدّدت مراكز التآمر في انحاء اوربا ومن اهم تلك المراكز مدينة زوريخ حيث كثرت الطالبات الروسيات الثائرات . فجاءهنّ الامر القيصري بمغادرة سويسرا والعودة الى الروسيا . فعدن يُذكين تلك الآراء المهيجة في الداخل ، وكانت دعوتهن الممتزجة بدعوة الرجال صراخاً وعويلاً يستحثّ النفوس على الكفاح لخلاص الوطن وخلاص الانسانية . فانتهبت القلوب وانبرت الجماهير ستلة وامتدت تلك العدوى الوطنية حتى الى الكهول والشيوخ من ذوي الوجاهة والحيثية والمستقبل المكفول كالقضاة والضباط وسواهم

وكان القيصر قد خشي اتساع الحركة فاوقف تنفيذ المشروعات الاصلاحية مطلقاً يد الحكومة في الضغط والمقاومة لقمع الهياج . فاشتدت العدمية من جهة اخرى لاسيما بتأثير باكونين محرّض الفلاحين على المطالبة بإتمام الاصلاحات الدستورية ، وعصيان بولونيا ، وانتشار الاشتراكية في اوربا . فاذا بها فوضوية مجازفة مستهترة وإرهاب دمويّ جنوني يناصب الكيان السياسي غير متبصر ولا

هائب في ارتكاب الجنايات ، واغتيال ذوي المكانة ، والتدمير والفتك المنظم . وقد بلغ حدهُ الاقصى في مقتل القيصر نفسهِ سنة ١٨٨١

ومرَّت الايام والعدميون يُرهبون بالاغتيال والهدم والتشويش ويُرهبون بالتعذيب والنفي والاعدام . وبقيت الحكومة تطاردهم ذرافات ووحداناً وتقضي على الزعماء والرؤساء منهم حتى ادركوا الحقيقة القاسية وهي انهم في هذا الصراع الطائل مغلوبون . فقل عددهم شيئاً فشيئاً وضعفت حدتهم ، واختفت حركتهم متوحدة والحركة الفوضوية إزاء الرأي العام

غير ان الاختفاء لا يعني الفناء . ترى ألم يبقوا عاملين سرًّا في الروسيا وفي مختلف البلدان بعد انسحابهم من ميدان الارهاب العلني ؟ ألم يكن لهم ولو يدٌ خفية تجهيزية في الانقلاب الاعظم الذي لم تستخرج منهُ بعد العوامل الكثيرة المشتبكة ؟

منذ نصف قرن تقريباً كتب محرّض كبير من محرّضي الروس — واعني بهِ هرزن الذي توفي في باريس — كتب يقول ما معناهُ : « ان مطلب الروسيا هو مطلب اوربا باسرها : الثورة الاجتماعية . غير ان اوربا التي تقدّمت حيويتها في نهضتين عززت بهما تاريخها لا تعيش الآن الاَّ بعلاقتها بالماضي الذي تتشر فيهِ أنّى توجهت . فلن تصطلح حتى يصلحها أحد بلدين : فإما ولايات اميركا المتحدة واما الروسيا التي دخلت حديثاً في ميدان التاريخ . والمستقبل لهذه حتماً لانها طليقة من التقاليد ولم تنمُ بعد النموّ الموافق لطبيعتها ولسوف تغتنم الفرص لإظهار ما عندها من القوى الفتية والمقدرة المدهشة فيبتدئ فيها الاصلاح والتعديل »

من ذا يعرف لهرزن هذا الرأي ولا يحسبهُ نبوءة بعد الانقلاب البلشفيكي ؟ لستُ لأزعم ان البلشفية أصلحت العالم ولكنها من الحول والتهديد بحيث قبلت ان تفاوضها وتتعاهد معها الحكومات الاخرى ومنها الملكية المحافظة . وكيف لا يجيء بمثل هذه النبوءة من وقف على طبيعة الشعب الروسي وممكناتهِ المتنوّعة المكنونة ؟ اذكرُ اني حضرتُ خلال العيد المنصرم في كازينو سان استفانو حفلةً خيرية لمساعدة المهاجرين الروس وقد تشكل جوق رجال منهم لينشدوا بلغتهم بعض الاناشيد القومية . من ذا يستطيع التعبير عما تلازب في ذلك الانشاد من جموح وشكيمة، وفاعلية و انفعال، وغمّ وذلّ ونصر باهر ؟ من ذا يستطيع وصف

تلك الوجوه يبدو فيها تارة الخشوع والتوسّل، وطوراً العتوّ والوعيد؟ تهبّ من افواهها الاعاصير وتنفجر الصيحات فيتزلزل المكان وتكاد تخرّ الجدران. فيدرب ترنيم هادىء على وتيرة واحدة كلهُ حزن وتجلّد وخضوع. ولا تلبث الريح الزعزعان ان تعود الى الصمق والعصف الشديد ممثلة هدير البحار، وولولة العناصر، ووعورة المنحدرات، ورعب الآفاق الجوفاء. ولعلي ادركتُ في تلك الساعة، بل في لحظة من تلك الساعة، قوة النفس السلافية المعطخبة الصاخبة — ادراكاً مبهماً. ولعلي فهمت في تلك اللحظة من الاضطرابات الثورية والحدّة البلشفية والاهوال النهلستية ما لا تشرحهُ المجلدات. وقد يكون اننا في تلك اللمحات السريعة نسبر من غور النفس ما لا نصلُ اليهِ عن طريق الاستقراء والتدليل

***

كلاّ ليس المتفائلون بالمضبونين ولا المتشائمون بالمتصفين فان كلّ جماعة عكفت على جانب من الفطرة البشرية الكثيرة التناقض والتنوّع. فذاك القائد الذي لا يأبه لمشهد الاشلاء ينمي عليهِ اذا شمّ رائحة الجبن. وذاك المحارب الذي اعتاد النوم على الصخور والحصى يأرقُ اذا تاهت وريقة ورد على انسجة فراشهِ الوثير. وذاك المحرّض الذي لا يرتوي الاّ بدم الابرياء يقضي ضحية امرأة لعوب مثل غامبتا ولاسال وغيرهما. ومن لا يذكر وقفة امبراطور المانيا على مرتفع ينظر الى ساحة القتال في غد معركة كبيرة، وما وقعت عيناهُ على الخراب والقتلى حتى هطلت دموعهُ قائلا « لم أُرد هذا! » فدمعت صحف الحلفاء تلك الدموع « بدموع التماسح ». ولكنها رعا كانت دموعاً صادقة كما صدقت بعدها حملات الالمان على اراضي بلجيكا وفرنسا. لان التناقض في الطبيعة ولأن الحرب هي الحرب. هي صورة الحياة في اشدّ الهيجان والحدّة فالصراع صارم لجوج. وان انت مهلت رحمة بعدوّك سبقك هو الى الفتك بك دون رحمة ومهل!

اجتمعت بعد الصلح بكاهن توفّر فيهِ الصلاح والذكاء والعلم كان حارب على خط النار ونال الميداليات والاوسمة. واذ قلتُ لهُ ان ما كنتُ أتأثرُ لهُ بنوع خاص بين اخبار الحرب هو خبر التطاعن بالسلاح الابيض؛ ابتسم واخذ يصف لي لذة الطعن والتجريح عندما تخترق الحربة جسم العدوّ. وان من ذاق هذه اللذة مرة او مرتين لا يستطيع الامساك عن البحث عنها بهوس في المعارك غير

مبالٍ بالخطر . وزاد على يثبتُ الرأي القديم وهو ان الانسان ان لم يكن لهُ من الدين او الاخلاق الفردية أو القانون وازع وتمكن من اخيهِ فالضواري دونهُ فظاعةً وحيلةً في ابتداع أساليب التعذيب . ليس للدفاع عن نفسهِ او للانتقام والتشفي فحسبُ ، بل أحياناً للذة القسوة والإيلام أو لمجرّد اللهو وقتل الوقت. وان أكبر آفات الحرب المشروعة في نظرهِ هي اطلاق تلك الغريزة الوحشية في الانسان وتشجيعهُ على إرضائها وتشديدها بمختلف صنوف التشجيع

ان اهل المذاهب التدميرية يريدون للجميع ما حرّم على الاكثرين . فهم وان كانوا لكلّ اختصاصي لا يرون من الاشياء سوى نقطة واحدة يحسبون بها الخلاص وبدونها الهلاك فالغاية عندهم تبرّر الواسطة . وقد يوجد بينهم الثوروي الفاضل المدفوع بعاطفة حبّ الانسانية فتكون الاحوال وحدها مسؤولة عن حدّتهِ وعما يأتيهِ أو يشير باتيانهِ من الجرائم . لأنّ من الناس الصلاح لا خوفاً ولا طمعاً بل لنزوعهم الفطري الى الصلاح نزوع الموسيقي الى الموسيقى ، والشاعر الى الشعر ، والرياضيّ الى الرياضيات . ولكن اولئك اقلية صغيرة هي خميرة الدهور والاكثرية الساحقة تحتاج الى قانون يلجمها ويهذبها . ان الاتمثال يلازم اعمال الحدة ، ولا يعقل ان ينفعل المرء ويجاهد لمصلحة الآخرين دون ان يفكّر في مصلحتهِ الشخصية . وعندما يهتدي الى ذلك الموضع الحساس من حياتهِ فكثيراً ما يجاهد لنفسهِ باسم الجمهور . ذلك لأن الجسد يجاور الحاجة في الانسان . وكما ان في قلبهِ جوعاً الى التودّد والاعزاز وتوقاً الى ان يكون محبّاً محبوباً ، ففيهِ كذلك قوة كبيرة للكره والتنافس . فقد يتمرّد ويشكو ويثور لانهُ مظلوم يطلب حقهُ . وقد يفعل ايضاً لان الثروة تلهبهُ ولا يستطيع الوصول الى مرتبة من هو فوقهُ . فيجرّب المشاغبة والنقض والحرق والتشليع فان نال بغيتهُ فذاك والاّ فقد حرم غرضهُ من النعمة وذاك سرور كبير . وحتى بين المتآمرين على الهدم ترى كلا يشد الحبل الى جهتهِ

حسن ان نعطف على التعساء وان نتوجع للفواجع التي تمرّ حياة الآخرين وحياتنا ايضاً . حسن وواجب ان نسعى كلٌّ في بابهِ لاسعاد اخواننا وتحرير انفسنا ، على شريطة ان نعرف الطبيعة البشرية ونلمّ بكيفية معالجتها . اذ لا منفعة بحسن النية اذا هي قُرنت بالجهل . فرض الولد وسوء أخلاقهِ كثيراً ما ينتج

عن حبّ الوالدة الجاهلة . وحب الدين مع التعصب اشعل الحرقات واجرى الدماء. وحبّ الوطنية والانسانية عند روسبير وسواهُ جزّ اعناق النساء والاطفال والشبان والشيوخ . فهل جنت الانسانية والوطنية والاديان من وراء ذلك رقيّاً خاصاً ؟

ذاك هو الانسان . وتعاليم الاديان الكبرى السبعة لم تعقل منهُ بعد عشرات الدهور غير القشرة الخارجية . ونظرة الى احوال العالم ترينا كاثر الطمع والحسد والنهب والتضليل طلباً للسيادة سواء بين الافراد والافراد ، والجماعات والشعوب ، والاحزاب والدول . وان كان هناك من يحب الاتزواء والمسالمة بفطرته فمن ذا يكفي الناس شر الناس ، من ذا يكفي الاحرار شرّ المتطاولين إن لم يكن النظام وممثلوهُ ؟ اي نظام ؟ النظام الاجتماعي المقارب لنظام الطبيعة فان عنصر الحياة نفسه تدفّق وانتظام معاً . واذا تعذّر تعريف نوع النظام فهذا لا ينفي ان استبداد الفرد الواحد يؤثر على استبداد الجميع بالجميع

***

اعترف بضعف هذا المنطق ووهن هذه الحجة إزاء إغارات الساخطين . واعترف بضرورة الثورات أحياناً . ففي السلم لا تجرا الافراد على العمل معها رثّت الانظمة وبليت . وبعض المشاكل الاجتماعية لا يحل بغير عجلات الكواسر كما ان بعض الامراض المزمنة لا يشفى بغير العمليات الجراحية . فعند وضع دعائم المستقبل على انقاض الماضي لا بدّ من قوة اولئك العتاة ووحشيتهم التي لا تتأثر لدموع النساء ولا تخجل بضرب الفؤوس

تأتي الازمات فترى الامة نفسها عند هوتة فاغرة فينصحُ الحكماء والعقلاء بالرجوع الى الوراء والسير بتبصّر حول حرف الهوة . ولكن الجموع يتدافع هدّاداً هداراً كالبحر فيقتحم الحواجز والسدود وتقع منهُ الصفوف الاولى فتملأ الهاوية ويسير الباقون فوق الجثث . والانسانية غير ضنينة بابنائها لان قواها غير متناهية

الثورات ضرورية لجرف النظم البائدة ، الثورات ضرورية لتجديد القوى وايجاد الجرأة والاقدام . ولكنها لا تنفع لغير ذلك . ان المذاهب الثورية من الاجتماع بمثابة الزعازع من الطبيعة والزلازل والطوفانات ، ولئن كان لكلٍّ من

هذه القوى فائدتهُ في الخليقة رغم ما يأتيهِ من خراب ودمار فهل يمكن ان تكون مقذوفات البركان الفوّار نظاماً للساكنين حواليهِ ؟

كروبتكن ! كروبتكن ! انت الذي كنت من اهل الوحي والرؤيا قبل ان تصير مليك المؤامرات السياسية ، وتناسيتَ مرتبتك لتمزج بالشعب شاعراً بجوع الجائع ووحشة المنفي ويأس المحكوم عليهِ وعار المرأة الساقطة ! أنتَ الذي عرفتَ ابهة بلاط القياصرة (١) واكرام المجامع العلمية قبل ان تُسجن في الحصن المعلّ على نهر النيفا وتهرب مجازفاً بحياتك الى حيثُ عشتَ فقيراً محتاجاً تبتاع قوتك بعمل يدك ! لقد انكرت البلشفية ، فهل قضيت راضياً عن مذاهب الفوضوية ؟ هل ظللت على يقينك حتى حافة القبر ؟ هل قضيت راضياً واثقاً بان المستقبل لجماعتك ؟

وهمان كبيران يقودان الحياة : في احدهما يحسبُ المرء نفسهُ حرًّا في العبودية على شرط ان تغيّر اسمها وشكلها — وان ظلّ جوهرها ثابتاً لا يتغير . وفي الآخر يعتقد المرء بصلاح البشر الفطريّ اعتقاداً مطلقاً . فهل تستطيع ان تقول الآن بعد ان عرفت الموت ايّ الوهمين اقل خطراً ؟ وانت الذي كنت زعيم الوهم الثاني ، هل تستطيع ان تنبئنا لماذا لا نفتأ نؤلم بعضنا بعضاً ؟ ولماذا ، ما دام الناس سلاّحاً ، قضيت عمرك في محاربة « الصالحين » ؟

(يتبع)

(١) كان كروبتكن مثل باكونين يحمل لقب برنس ولكنه كان رفيعاً بشخصيته لا بلقبه لاسيما وان « برنسات » الروسيا لا يزيدون اهمية عن « برنسات » ايطاليا ابناء اخوة البابوات وذاسواه» لبنان على شيوع الالقاب بينهم دون قانون شأنه في البلدان الاخرى وهذا اللقب ليس اكثر من (squire) الانجليزية . ولقد سأل سائل في العدد (٣٥٨) من الطائف المصورة لماذا سمّي البرنس سميه علم من امير معرب برنس واذا كان لقب برنس خاصاً بالعائلة المالكة فكيف كان بعمارك برنساً

والجواب ان امير تابع برنس دون ان تترجماحرفياً فان Princeps اللاتينية معناها الاول فهي تطلق على ابناء الملك الثالث واحفاده فيلقب اللقب عند ذرية معينة لا يعود يحمله سوى الولد البكر . ثم صار الترك يهبون الالقاب منحة ومكافأة وكذلك صار بسمارك برنساً . أما لفظة امير فكانت في البدء تطلق على من كان عمله الناس في الجيش . وما زلنا نجد أثرها في اميرالاي أو قائد الالاي واميرال أي قائد البحر الخ . لما في لبنان فكلهم « امراء » وكلهم « مشايخ » والنساء « شيخات » « واميرات » رغماً عن ان امرأة الحاكم القديم كانت « ست » فقط . أما « الارتقاء » الذي يحمي اليوم ابنة الملك جورج الخامس فيكونتس لان زوجها غير برنس يجعل كل امرأة من تلك العيلات البريطانية « شيخة » و« اميرة » سواء قبل زواجها أو بعده